حكاية ياسين وبهية

- تجربة ديرمواس و رحلة بهية لم تصل إلى مداها المطلوب الذى كنت تحلم به وكانت لك أسبابك وأعذارك، إذن ماذا حدث فى القصير بالبحر الأحمر؟!

عادة ما يسبقنى حلمى، وعادة ما يسبقنى بخطوات شاسعة أكثر من معطيات الواقع الرث والمتردي، فلقد ذهبت إلى القصير وفى ذهنى أن أكتب نصاً مسرحياً وأخرجه عن واقعة ياسين وبهية الأصلية التى وقعت فى مطلع القرن العشرين، وكنت قد قرأت بضع شذرات عن هذه الواقعة، وقرأت أيضاً شيئاً عن الملابسات التاريخية والسياسية التى أحاطتها.

- هل اختيارك لهذا الموضوع هنا يتعلق بعدم إشباعك الفنى، بما كُتب عن ياسين وبهية، فأردتَ أن تعيد الصياغة من جديد بالمنطق الذى يشبعك؟ أم أن الموضوع كله يتعلق بصياغة الموضوع بالطريقة التى تنتصر للحقيقة التاريخية؟!

بعد أن كتب نجيب قصته الشعرية الدرامية ياسين وبهية على نسَق نوع أدبى مبتكر كان قد تعلمه من الشاعر الروسى العظيم بوشكين ثم دفعه نجاح إخراج كرم مطاوع لهذه القصيده

الطويلة، أن يواصل الكتابة بطريقته المسرحية الخاصة، فألحقها نجيب بمسرحيته الثانية «آه يا ليل يا قمر» ثم الثالثة» قولوا لعين الشمس» إذن كانت تحدوه فكرة درامية تتحرك ملحمياً عبر الزمان والمكان وتغير الظروف، ففى قرية بهوت بالدقهلية فى الثلاثينيات والأربعينيات أو حولهما، مضى ليواجه كبار ملاك الأراضى الزراعية، واضعاً إصبعه بذكاء على موضع الضعف فى قوى الثورة الفلاحية ممثلةً فى زهو ياسين الشخصى وعدم وعيه الطبقى والاجتماعى والسياسى والتاريخي، ثم انتقل إلى مدينة بورسعيد فى ظل العدوان الثلاثى رابطاً بين هزيمة العمال فى الصراع الطبقى ضد السلطة وبين هزيمة السلطة ذاتها فى مواجهة الأعداء، لولا المقاومة الشعبية البورسعيدية الباسلة، ثم انتقل نجيب بعالمه المسرحى إلى السويس، وكانت بهية قد نضجت وشابت فتمكنت من مواجهة أنواء وأعاصير ما قبل النكسة وما بعدها، هذا الذى دفع نجيب إلى نقل المتتالية الغنائية الشعبية العبادية الصعيدية من مسقط رأسها فى الجنوب إلى وجه بحري، وكانت قد ترددت شذرات من أبياتها الشعريه الغنائيه هناك خلال الثلاثينيات.

- لعل هذا هو ما جعلك تذهب إلى قبائل العبابدة فى القصير بالبحر الأحمر جنوب شرق مصر، بينما أنت عاشق لثلاثية نجيب سرور حتى أنك صففتها فى مسرحية واحدة من نسيج واحد متجانس هى «رحلة بهية».

ذهبتُ إلى هناك باحثاً عن الجذور.. وتعرفت على فنان من العبابدة وهو حسين حسب النبى العبادي، وهو فنان كبير القامة لديه حِسّ شعبى وطنى وفنى رفيع أدى أمامى مجموعة مربعات عن حكاية ياسين بنص وأسلوب ولحن مختلف عن الشائع بين الفنانين الغجر فى وادى النيل، إلى جانب عدد من الأغانى الشائعة بين قبائل جنوب مصر خاصة العبابدة، فتواعدت معه لزيارة ما تبقى من أسرة ياسين فى قرية صغيرة اسمها «الحصواية» متاخمة لمدينة قنا، وهناك بتنا ليلة مع هذه الأسرة وسجلت معهم بضع أشرطة صوتية، تبينت من خلالها أن مسقط رأس «ياسين» كان هناك، وأنه كان متزوجاً من ابنة عمه آمنة، وأنه حينما ذهب إلى جنوب مصر عند الحدود المشتركة مع السودان لم تذهب معه زوجته وأم أولاده، فكان أن تزوج فتاة أخرى اسمها رضية أصحبت رفيقة سلاحه وحارسته وحينما تحصّن مع مجموعة أخرى من المتمردين على (الأوضاع) فى الفترة ما بين نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين فى أعقاب اتفاقيتى ١٨٩٩ وقيام أول حدود مسلحة بيننا وبين شعب السودان الشقيق، فسببوا قلقاً شديداً للدوائر الحاكمة الإنجليزية المصرية آنذاك.

- اذن من هى بهية ؟! !

إنها من وحى الخيال الشعبى الذى دمج المرأتين : آمنة و رضية فى امرأة واحدة هى بهية.

• حدثنا عن المناخ العام الذى نما فية هذا الخيال..

بعد هزيمة الثورة العرابية أدرك الإنجليز أن عظام الجيش المصرى عظام عرابية ثورية، فقرّروا – بدهائهم الاستعمارى – أن يتخلصوا منهم، فزجوا بالجيش المصرى وصف ضباطه و جنوده المصريين الخُلّصْ تحت قيادات إنجليزية وعناصر تركية ومملوكية إلى خضم الصراع مع الحركة الوطنية السودانية أى الثورة المهدية فوضعوا إسفيناً بين الشعبين دون ذنب من أى منهما، لازال أثره باقياً حتى اليوم!! . وواجب المصريين إزالته بكل الوسائل لأن مستقبل مصر هناك. وهناك تم التخلص من عدد كبير من العرابيين إما بالموت وإما بالعجز، وهناك أيضا مهّد الإنجليز لفصل مصر عن السودان والعكس صحيح.

• ما دليلك المادى على ذلك؟!

اتفاقيتى ١٨٩٩م التى نجم عنهما تحريك الحدود المصرية الأصلية شمالاً من الشلال الرابع جنوبا إلى الشلال الأول عند خط عرض ٢٢، مما أدى إلى قسمة القبائل والأقليات شبه القومية التى تسكن هناك منذ آلاف السنين، إلى قسمين قسم سودانى وقسم مصرى بينما تشكل قبائل الجنوب وجماعاته السكانية حرف الواو الذى يربط بين مصر «و»السودان.

• كيف تم ذلك؟

استخدم الإنجليز أسلوب المغالطة اللغوية كعادتهم والرشوة، فبعد أن ناقشوا شفاهة فى المداولات التى تسبق ترسيم الحدود

علـى الخريطـة، أيـن تقـف حـدود مصـر؟ حيـث توجـد هنـاك قريـة صغـيرة تسـمى «سَـرَسْ» عنـد الشـلال الرابـع، فجـاءوا عنـد ترسـيم الحـدود ووضعـوا علامـة علـى الخريطـة، تقـف عنـد قريـة فَـرَسْ مُسـتغلين الجنـاس بـين اللفظتـين وفقـاً لطرقهـم الخبيثـة المعهـودة أى اللعـب باللغـة كمـا لعبـوا فـى صياغـة القـرار رقـم ٢٤٢ لسـنة ١٩٦٧ حيـث إصـروا علـى كتابـة **Lands** بـدلا عـن **The lands** اى أرض بـدلا عـن الأرض بحجـة أنهـا لا تعـرف فـى قواعـد لغتهـم الإنجليزيـة فمنحـوا الفرصـة لإسـرائيل أن تلعـب بقـرار مجلـس الأمـن كمـا تشـاء!!، وهكـذا فـرض الإنجليـز ماديـا سياسـتهم الشـهيرة (فـرق تسـد) موضـع التطبيـق الفعلـي، فأصبحت النوبـة نوبتـين.. وكـذا قبائـل البجـا والبشـارية والعبابـدة والأنصـار والجعافـرة والمعـازة و الشـعالوة ... وغيرهـم.

- وما علاقة ياسين بهذا الموضوع؟

لأول مـرة فـى التاريـخ تقـوم حـدود مسـلحة بيننـا وبـين السـودان!! وهـذا معنـاه انقطـاع طـرق التجـارة التـى تتعيـش منهـا هـذه القبائـل ذهابـا وإيابـاً، هنـا ظهـرت بـوادر التمـرد بـين قبائـل الجنـوب التـى كانـت ومـا زالـت همـزة الوصـل – أو حـرف الـواو – التـى تربـط بـين مصـر والسـودان. ويبـدو أن ياسـين كان رأس حربـة مـع آخريـن فـى هـذا التمـرد، لهـذا حـين اكتشـفت دوريـة عسـكرية مصادفـة بقيـادة ضابـط صغـير برتبـة مـلازم ثـان، هـو الـذى أصبـح – بعـد ذلـك – اللـواء صـالح «باشـا» حـرب رئيـس جمعيـة الشـبان المسـلمين، وخـلاف ذلـك مـن مناصـب كـبرى، فـإن

الدورية أطلقت النيران الكثيفة ضد أشخاص كانوا يجتمعون فى مغارة بالهضبة الشرقية بجنوب مصر، اكتشفوا بعدها أن القتيل هو ياسين العبادى المطلوب رأسه مقابل فدية كبيرة من السلطات الإنجليزية الحاكمة !! و من المدهش أنه حينما سقط ياسين برصاص الجنود المصريين الذين كانوا بصحبة الملازم صالح حرب «زغردت» زوجته رضية كعادة المصريات حين يسقط أزواجهن بشرف، و يبدو أن القاتل لم يفهم هذا الأمر فكتب أن الزوجه فرحت لمصرع زوجها !!

إن هذا النوع من التجنى والتشهير ضد كل من يتجرأ ويرفع سلاحاً ضد السلطات، أسلوب تم اتباعه مع كافة الحركات الشعبية العفوية والثوارالمحليين، التى تطلق على أبطالها أنهم أشقياء ومجرمون خارجون عن القانون، مثلما قالوا أيضا عن أدهم الشرقاوى فى تحقيق صحفى كبير نشروه بجريدة الدستور.

بعدها تسللت رضيّة زوجته الثانية إلى أسوان ثم إلى كوم أمبو لكى تقيم هناك مع أقارب لها ثم تزوجت وتركت أبناءً ثم أحفاداً مازلت أبحث عنهم كى ألتقيهم لعلى أعثر على آثار متبقية من هذه السيدة الشجاعة العظيمة وذكرى زوجها البطل. لهذا ذهبت بنفسى بصحبة الفنان حسين حسب النبى، إلى حيث يمكن إن أقابل طرفا من قبائل العبابدة للتحقيق الفنى على الواقع بطريقة الأوتشيرك أى استخدام وسائل التحقيق الاجتماعى والصحفى والتاريخى فى بناء عمل مسرحى أكون به قد ألممت بموضوع ياسين واستكملت تفاصيله

الضائعة ومقاطعه الشعرية المندثرة تمهيداً لتقديم قراءة جنوبية جديدة له بخلاف قراءة نجيب سرور.

- وما الذى اكتشفته بعد جولتك فى القصير بالبحر الأحمر واتصالك بقبائل العبابدة؟

هناك تبينت عدة أمور منها إن وجودنا فى القاهرة – ذات الستة عشر مليونا من المصريين على الأقل– إنما هو عُزلة عن كيان الوطن ككل، فالوطن المصرى يجب أن نأخذه باتساعه الجغرافى والسكاني، وعلى سبيل المثال يوجد فى الجنوب مجموعات عرقية/ثقافية لا يقل عددها عن عشرين مجموعة، كلهم مصريون وكلهم يتنسمون هواء هذا الوطن، ومع ذلك يعيش أغلبهم حالة من الإهمال والتهميش واللامبالاة بحياتهم وثقافاتهم الثرية الثمينه التى أحيانا ما تكون متناهية فى القدم والعراقة، ونحن حين نذهب إليهم لابد من أن نتعرف على هذه التكوينات تاريخياً واجتماعياً وثقافياً، بما يشبه الكشف عن الطبقات الجيولوجية، فبعض منا يظن أن الوطنية قاصرة عليهم أو على السياسيين أو ناشطى العمل العام، بينما الأمر الحقيقى أن فناناً جنوبياً هو «حسين حسب النبى « أو حسين العبادي، هذا الفنان الجنوبى اسمعنى وأشجانى بأغانى جنوبية جميلة منها أغنية مطلعها: «يا بلاد الجنوب يا حارسة الوادى» للأسف لا أذكر باقى النص، ولا أستطيع أن أؤدى اللحن، ولكنه منذ أن سمعته ماثلٌ فى جوفى وقابع فى كياني.. قوى التأثير كالنبع الصافى فى يوم حار، وهكذا

يكون الأمر مع قبائل الأنصار و الجعافرة و البشارية والعليقات و المعازة والشعالوة وغيرهم .. وأبناء النوبة وباقى جماعات الجنوب العرقية والسكانية فهم همزة الوصل «الواو».

هذا الرجل فنان وطنى بحق يتميز بأداء أصيل وكلمات منتقاة راقية ورفيعة الشأن والمغزى والمصدر، ذى صوت قوى مرسل وعميق يعْبرُ عقلك وأحاسيسك فى آن واحد، ويظل مسيطراً على أثيره مدى غير محدود، يقف الفنان حين يغنى وقفة تضم النبى والفارس معاً، إنه يغنى غناءً مقدساً، هذا النوع من الغناء يمكن أن نسميه «الفن الخالد»، فهو مستمد من الماضى مستند على أصول وتقاليد راسخة ومرسل للأجيال، كى يقتاتون منه نفسيا ووجدانياً، ولكننا للأسف نحن الآن نعيش مباءة غنائية كفيلة بأن تفكك أوصال أمة عمرها سبعة آلاف عام.

- بما أن هذه الجماعات الشعبية المصرية هى الوعاء الذى أنتج الصيغة الأصلية لموضوع ياسين وبهية، فهل كان نجيب سرور على صلة بهذه المصادر؟ وهل ظهرت فى إنتاجه لمسرحيتيه ياسين وبهية ويا بهية خبرينى وغيرهما؟

كانت لنجيب سرور صلة بهذا المصدر ولا شك، ولكنها صلة مبتورة ومتقطعة، بحكم انه اصلاً لم يكن من ابناء هذه المنطقه من جانب آخر، فقد استقى نجيب قصة ياسين وبهية من الأغانى الشعبية الدارجة التى كانت تتردد فى ربوع مصر الشعبية فى الثلاثينيات منذ كان ينتقل من مدينة إلى أخرى مع والده الذى كان يعمل ناظراً أو مدرساً للغة العربية بالمدارس

المصرية فى شمال مصر وبعض مدن جنوبها مثلنا جميعاً من أبناء الموظفين الحكوميين، ولكنه آثر – وهذا من حقه– أن يؤلف ويخرج المسرحيات ويكتب الأشعار كيفما عنّ له، سيما أنه كانت تخايله ذكريات الطفولة والصبا عن الحياة الفلاحية فى الدلتا حيث تقع قريته الأم اخطاب، فأراد أن يستفيد مما حصّله عفواً عن قصة ياسين وبهية فى طرح قضيته، أى قضية أهله من الفلاحين والعمال والجنود، وهذا هو المستوى الاجتماعى الذى تحرك من خلاله بدءاً من «ياسين وبهية» «وآه يا ليل يا قمر» «ويا بهية وخبريني» «وقولوا لعين الشمس» تلك المسرحيات التى تشكل صورة واقعية متكاملة مضموناً وشكلاً من جميع الوجوه، لذا أخذت هذه الأعمال اتجاهاً مضمونياً يتعلق بالصراع الاجتماعى والوطنى المركزى الذى كانت تعيشه مصر فى أعقاب ثورة ١٩١٩ م المجيدة، منذ الثلاثينيات وحتى مطلع الخمسينيات ممتداً إلى ما بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م ومقدماتها وأسبابها، لهذا لا يستطيع ناقد أو مؤرخ أن يأخذ على نجيب أنه لم يتبن التراث كاملاً بقضه وقضيضه وتفاصيله، فهذه هى وُجهة نظره، وهذا هو عالمه الفنى الذى اختاره، هكذا ظلت شخصية بهية التى بدأت ريفية وتحولت إلى زوجة عامل ثم أرملة من سكان مدينة السويس المقاتلة، أى الأم الخالقة أى نعيمة أى إيزيس ... وذلك هو عالمه الأثير.

- من هذا المنطلق يتبقى سؤال عن هذا المصدر. فهل يوجد كاتب استلهم هذا المصدر الجمالى الأصلى ؟!

بحسب معلوماتى أنه لا يوجد، وإذا كان هناك من كتب فكتابته لم تؤت أثرها وثمارها.

- وماذا عن محاولتك؟

ذهبت خصيصاً إلى هذه المنطقة لدراسة الموضوع على الأرض، فتعلمت ما يلي:

أ. أن اللحن الذى يردده الفنانون الغجر فى صعيد مصر يجرى على مقام حزاينى، كما أن اللحن الذى يتردد فى حقول قرى الدلتا لحن لدن يشوبه قدر من التغنى والتراخى بينما اللحن العبادى الأصلى يجرى على مقام يتراوح بين التحدى والمفارقة والسخرية، أنا لا أعرف فى المسميات الموسيقية، لكن هذا ما تلقيته من ألوان الفن الشعبى الشفاهى التى سمعتها من هنا أو هناك.

ب. النص الغنائى الأصلى غير مكتمل حتى الآن، ودعنى أمليك ما حصلت عليه مراعياً تغيّر منطوق الجيم القاهرية وقاف الفصحى إلى الجيم المعطشة الجنوبية :

ياوابور الساعة اتناشِر

يا مجبل ع الصعيد

سلملى على الحبايب

يابو عجل حديد

عبادى يا واد عبادي

كرباجك ع الهجين

ونا كل ما اجول التوبة (تكرر)

ترمينى المجادير

ويا بهية وخبرينى ع اللى جتل ياسين

جتلوه السودانية من فوج ضهر الهجين

عبادى يا واد عبادي

كرباجك ع الهجين

ونا كل ما أجول التوبة

ترمينى المجادير

عبادى يا واد عبادي

كرباجك ع الهجين

واللى يعادى العبادى

يعيش عمره حزين

يعيش عمره حزين

ويا بهية وخبرينى ع اللى جتل ياسين

ع اللى جتل ياسين

جتلوه السودانية من فوج ضهر الهجين

من فوج ضهر الهجين

وخبرينى يا بهية

ع اللى جتل ياسين

جتلوه السودانية من فوج ضهر الهجين

جتلوه السود عينيه

من فوج ضهر الهجين

وياسين غرجان فى دمه

خايف منه الحكيم

خايف منه الحكيم

وياسين ملفوف فى حرامه

خايف منه الحكيم

خايف منه الحكيم

وبهية فى المحاكم شدت واحد وكيل

شدت واحد وكيل

وانضر ياجاضى النيابة

جدامك مظاليم

جدامك مظاليم

واحكم يا جناب الجاضى جدامك مظاليم

جدامك مظاليم

طجر (عوج) الطربوش على شِجّه (ناحية)

وحكم باربع سنين

اتنين فى الجصر العالى واتنين فى الزنازين

واحكم يا جناب الجاضى جدامك مظاليم

جدامك مظاليم

عوج الطربوش على ناحية وحكم باربع سنين

سنتين فى الجصر العالى واتنين فى الزنازين

وياسين ملفوف فى حرامه

خايف منه الحكيم

وياسين غرجان فى دمه

خايف منه الحكيم

واحكم بالعدل يا جاضى

طجر الطربوش على جرنه

وحكم باربع سنين

سنتين فى الجصر العالى واتنين فى الزنازين

وبهية فى المحاكم

شدّت واحد وكيل

شدّت واحد وكيل

وياسين غرجان فى دمه

خايف منه الحكيم

وياسين ملفوف فى حرامه

خايف منه الحكيم

واحكم بالعدل يا جاضى النيابه

جدامك مظاليم

جدامك مظاليم

ويا بهية وخبرينى ع اللى جتل ياسين

ع اللى جتل ياسين

جتلوه السودانية من فوج ضهر الهجين

عبادى يا واد عبادي

كرباجك ع الهجين

واللى يعادى العبادى

يعيش عمره حزين

يعيش عمره حزين

يا وابور الساعة اتناشِر

يابو عجل حديد

شمس العصارى غابت

ياللى بلادك بعيد

يا جريد النخل العالى

طاطى ورُد السلام

وعد ومكتوب عليا

ومسطر على الجبين

تبينت من التمعّن فى هذا النص الشفاهى وطريقة أدائه لدى العبابدة أنه فى حاجة إلى تفسيروتدقيق، فضلاً عن ضرورة استكماله كنص فى إطاره التاريخى والاجتماعى، الذى أدّى إلى أن تنتجه القريحة الشعبية فى هذه الصورة التقريبية، فوجدتنى أمضى فى رحلة بحث جديدة، فتواعدت مع الفنان العبادى حسين حسب النبى للذهاب إلى قرية صغيرة ملحقة بمدينة قنا اسمها الحصواية حيث علمت أنها مسقط رأس ياسين ولم يزل أحفاده موجودون هناك، وفور لقائى بهم علمت أن جدتهم زوجة ياسين اسمها آمنة وليس بهية، وحين رحل ياسين إلى الجنوب حيث نشبت أزمة الحدود المصرية السودانية التى فرضها الإنجليز منذ عام ١٨٩٩م فإن زوجته الأولى لم ترحل

معه غير أنه التقى برفيقة السلاح والمطاردة والغربة، وهى فتاه تدعى رضية فهناك وقعت الواقعة الشهيرة.

- ترى ماذا قال صالح حرب عن ياسين ؟

قال صالح حرب فى مذكراته – مقراً و معترفا بمكانة ياسين فى وجدان الشعب المصرى

«وهكذا قتل ياسين، و هكذا كانت نهايته و لم تمض غير أيام حتى نظم أحد أبناء الصعيد أغنية فى ذلك لم تلبث حتى رددها الشعب كله من أقصى الصعيد إلى شمال الدلتا».

- و ما رأيك فى ما قاله صالح باشا حرب ؟

لقد تربى هذا الرجل فى ظل الظروف التعسة التى عاشتها مصر بعد هزيمة الثورة العرابية سنة ١٨٨١ م حيث سيطر الضباط الإنجليز يساندهم المتبقى من خصوم عرابى من الأتراك و الشركس و المماليك خاصة بعد ان تمكن ضباط المخابرات الإنجليزيه و الألمانيه و الإيطاليه من السيطره على المنطقة الرخوة التى تصل و تفصل مصر والسودان فكيف لضابط مصرى صغير السن (كان حينها فى رتبة ملازم ثان) كيف له أن يكوّن وعيه الخاص و من ثَم موقفه المستقل ولا أقول الوطنى ؟ فهذا الضابط بحكم وضعه كان خاضعاً لأوامر كبار الضباط المعادين لمصر و المصريين.

- إذن ما هى قراءتك للنص الذى حصلت عليه؟

١. أنه مازال ناقصاً، وأننى فى حاجة إلى رحلة بين كوم امبو وإدفو وأسوان كى أحصل على باقى هذه النقاط حيث

إلحدود المصرية السودانية، فهناك تتناثر حكايات عن ياسين و بهية تحملها مختلف الجماعات الشعبية فى هذه المنطقة التاريخية شديدة الثراء بالوقائع والتراث الشعبى والثقافى...وصولاً إلى شمال أم درمان جنوباً وإلى سواكن والبحر الأحمر شرقاً، فهذا أمر ضرورى كى أتمكن من الحصول على كافة أطراف هذا الموضوع الهام وثناياه وخباياه.

٢. يغنى النص ويحكى عن أن ثمة محكمة عقدت بناء على طلب بهية، وهذه محكمة فى الخيال من ابتداع الشاعر الشفاهى الشعبي، وأن هذه المحكمة حكمت على قتلة ياسين بالسجن أربع سنوات (يحتج الضمير الشعبى على أن يكون جزاء القتلة بهذه الخفة : سنتين فى السجن العالى أى فى مكان مريح من السجن وسنتين فى الزنازين!! تلك الأمكنة التى يقضى فيها القتلة المحكومين بالأشغال الشاقة وقتاً طيباً مريحاً قبل الإفراج عنهم، هنا علينا أن نلاحظ السخرية التى يتتضمنها النص الغنائى، بمعنى أن القاضى يضع طربوشاً معوجّاً على ناحية وفوق قرنه !! (ومن المعروف ماذا تعنى كلمة قرن عند العامة) وفى هذه المنطقة من المتتالية الشعرية تكمن الدراما، أما باقى النص فهو تنديد بالخصوم وتهديد لهم، فحين تقول: عبادى يا واد عبادى كرباجك على الهجين، يعنى أيها الفتى العبادى تعجل الجمل (الهجين) تحسّسه وحُثه بالكرباج لأننا فى مهمة خطيرة و عاجلة، بينما تمجد الأغنية فروسية ياسين فى أنه – رغم موته– مازال يخيف كل

قاتليه وهكذا. فالنص على قصره ملئ بالصور الفنية الحارة والمعبرة، الأمر الذى يضع كل من يتعرض له بالتفسير أو الإبداع فى موقف صعب، ابتداء من اختيار مكان العرض والفرقة التى تقوم بالتمثيل والأزياء والموسيقى والسينوغرافيا واختلاف فنون الأداء التعبيرى من تمثيل وغناء وحركة وعناصر سينوغرافية.

٣. إن الواقعة حدثت عام ١٩٠٥م بعد إغلاق الحدود المصرية السودانية بنحو ست سنوات حيث لعب الجيش المصرى – مجبراً – بعد هزيمة عرابى ١٨٨٢م دور حرس المقدمة كدروع بشرية تحمى القوات الإنجليزية فى مواجهة قوى الثورة السودانية الحركة المهدية بينما لم تكن القوى الشعبية المصرية راضية عن مثل هذا الموقف التعيس، فى حين كان يتملكها الإحباط والعجز الذى شمل القوى الديمقراطية المصرية فاكتفت بالهتاف: «تحيا وحدة وادى النيل» فلم يكن أحد يقبل أو يرضى أن يحارب المصريون أشقاءهم السودانيين أو العكس، ولكن السياسة البريطانية التى تقوم على مبدأ الوقيعة بين الأشقاء (مبدأ فرّق تسُد) قد تحققت، وهكذا التف الإنجليز خلف القوات المصرية التى دفعوا بها إلى المقدمة كى يتخلصوا من بنيتها التى مازالت موالية للثورة العرابية وكارهةً للاستعمار الإنجليزى (ولكن ما باليد حيلة).

هنا تمت المصادفة الفاجعة أن ملازما ثانياً اسمه صالح حرب – كان يعبرالحدود المستجدة مع عدد من جنود الهجّانة

المسلحين من السودان إلى مصر، فشاهدوا طرف بندقية لمعت تحت وهج الشمس كانت تطل من أحد الكهوف أو المغارات فأطلق النار، عليها فبادلتهم النيران بالمثل، فحدثت الواقعة المؤسفة وقتل ياسين وقبض على رفيقة حياته المقاتلة رضية. هذا الفعل لايمكن أن نحسبه في- ملابساته تلك- ضمن سياق حراسة الحدود المصرية !! فممن نحرسها ؟! من أصحابها وأهلها ؟!! ولحساب من؟! هذا أمر لايمكن أن نحسبه فى سياق الحركة الوطنية والثورية فى مصر والسودان ضد الاستعمار الإنجليزي، كما يردد البعض حتى اليوم بكل أسف. والعجيب أن أجد بعض مدعى الوطنية والثقافة يرددون أفكاراً خيالية بأن ياسين هذا لص خارج عن القانون! وأى قانون؟! قانون الإنجليز؟! وللأسف طبقوا هذه النظرية الخائنة على أدهم الشرقاوى وغيره.. وغيرهم من أبطال الأمة المصرية.

٤. فى الجلسات الأولية للمشروع تجمع لدى عدد من الفنانين بالسليقة من غواصين وصيادين وسائقين ومدرسين، كشفت هذه الجلسات عن مواهب كثيرة شديدة الحساسية، فجّرت فى خيالى مشاهد كاملة، فوظفتهم فى أدوار وشخصيات ومواقف، أوحى بها موضوع ياسين ككل، كما عثرت على مجموعة من فتية العبابدة يتراوح أعمارهم بين الثمانية والرابعة عشر يقدمون فناً عبادياً مميزاً، ثم قابلت مجموعة أخرى من رجال العبابدة المشحونين بالتجربة والوعى والاستعداد للعطاء.

- من أين أتى اسم بهية ؟!

هـذا الاسـم مـن إبـداع الشـعب المصـرى؛ فهـو دائمـاً يطلـق علـى المـرأة المصريـة التـى تتسـم بصفـات الجمـال والقـوة والبطولـة والشـجاعة و الأصالـة و العراقـة والسـحر أيضـاً... اسمـاء مثـل عزيزة و خضـرة و نعيمـة و بهيـة و رحمـة وغيرهـن، المهـم هـو الجوهـر الـذى توحـى بـه التسـمية هنـا فـى موضوعنـا قـام الضمـير الشـعبى المصـرى بضـم اسمـىْ آمنـة و رضيـة فـى اسـم واحـد وهـو بهيـة.

- إذن لماذا لم تُقبل على كتابة هذا العمل وإخراجه؟!

لأنـى رأيـت فسـادا فـى بيـت الثقافة يهـدد كل هـذه المجهودات خاصـةً وأنـى مريـض قلـب لم يعـد يحتمـل هذا النـوع غير الإنسـانى مـن المناكفـات والصـراع العقيـم، فعـدت إلى القاهـرة بعـد شـهر مـن المتعـة والمعانـاة والمعرفـة الجديدة.